الاميرة الخطيرة التي اود ان يقتدي بها سيداتنا المثريات ولو جزءاً من مائة فقط

وقد زارت القيصر وعائلته في فريدبرك في جرمانيا بثوبها الرهباني السنة الماضية وهذه اول زيارة للبلاط الملوكي بعد تركها العالم

وكما ابنت اولاً فانها خصصت ثروتها العظيمة البالغ ريعها خمسماية الف ليرة انكليزية مسانهة لهذا العمل الخيري واذ لم تكتف بذلك فانها باعت مجوهراتها في باريز وخصصت نفقاتها لذات العمل وديع ابو رزق

ليلة مع الملاك جبرائيل

خطاب الانسة ادال جرينج في حفلة جمعية يد المساعدة للسيدات الانجليزيات

للنفس حالات تتراكم بها عليها جبال من الهموم فتطالب الخلوة وتميل الى الانفراد . في مثل هذه الحالة خرجت ترويحاً لها مما تعاني . وما الهموم الاَّ اثقال لا تطاق لانها قوى النفس اذا لم تجد منصرفاً الى البعد عنها

خرجت قبيل المغرب امشي لا الوي على شيء حتى ادركني التعب فجلست طلباً للراحة . جلست افكر في الانسان وما شاهدته من اعماله اثناء ذلك اليوم . فصحت مدفوعة بعامل التأثر والانفعال قائلة ما اشرّ الانسان وما ابعده عن الحنان .

واني لكذلك رأيت الشمس تتدرج في الغروب حتى توارت وراء الافق مودعة النهار الماضي وتعابه ومستقبلة الغد . ارفيانوس الحياة المتلاطم بالامواج هدأ وضجيج الطبيعة سكن والكل اوى الى الراحة كأن الجميع في سبات فلم يعد يسمع صوت ولا نسيم يجري فيحرك اصغر النبات . واذا بالقمر طالع من خلف الجبال مرسل اشعته عليلة صفراء كأن سهاد الليالي ذهب بنور سناه فلم يترك له الاَّ نوراً ضئيلاً ووجهاً مكمداً فقلت له لانك انك ايها القمر قد شاهدت من شرّ الانسان ابان رحلتك ما جعلك حزيناً كئيباً مصفر الوجه فما اشبه حالتك بحالتي من هذا القبيل غير انك سعيد من وجه اخر لانك تسرح في هذا الفضاء بعيداً عن الانسان تراه ولا تدنو منه . واذ ذاك شعرت بوطء اقدام خفيفة ورأيت شبحاً ابيض واقفاً امامي وهو يقول لي — قدمي اتبعيني) . فقلت — الى اين

ومن انت ؟

فقال انا الملاك جبرائيل علمت حالتك وما ينازع قلبك وفكرك وعلمت شدة حقدك على الانسان فاتيت لاساعدك . قال هذا وبدت على ثغره ابتسامة خفيفة ظهر من خلالها الاشفاق فاذعنت له واخذنا نسرح في الفضاء الاثيري بين السيارات والنجوم والارض منبسطة تحتنا بمناظرها البديعة وكنت انظر مرة بعد مرة الى العالم تحتنا على غرفة من رقيق هذا .

فمرة وانا اتطلع شعرت بيد الملاك اللطيفة وضعت على كتفي فقال لي انظري الى هذه البقعة من الارض . فنظرت وشاهدت ما انفطر له قلبي . شاهدت شبحاً نحيلاً ملقى على فراش المرض يحاول النهوض فلا يقدر وقد علا وجهه الاصفرار . شاهدت صدره يخفق بسرعة وسمعت انينه المتقطع فايقنت ان تلك النفس ستفارق ذلك الجسم سريعاً

فالتفت الى الملاك وقلت له لم ترك هذا الانسان وحده وعلى فراش خشن بقاسي الموت ؟ قال لان لا قريب له يعين ولا صديق يواسي ولا رجل مروءة يعتني بامره . مرض فلم يكن له من يداويه او يعوده على الاقل وسيموت بدون ان يسمع كلمة تشجيع ساعة موته . سيموت وتموت معه تلك الاماني المدفونة بصدره . سيموت ولا يعلم احد بامره .

قلت وما ذنبه ؟ قال لا ذنب له ولا اثم عليه الا انه فقير وقد زرع تحت اثقال المرض من جراء الفاقة فسيموت شهيد عدم الشفقة . سيموت لان القلوب (آه من شر تلك القلوب) خالية من الرحمة والحنان . ولكن عجلي بالمسير فالمسافة طويلة

فتبعته بعد ان شيعت ذلك الجسد الماثت بنظرات الحزن ولم نسر الا القليل حتى شاهدنا اشباحاً يضاً تمشي الهوينا. فلنتها ملائكة . فصحت من فرحي يا ابي هذه ملائكة خاطرة بثيابها الملائكية ! فتبسم لجهلي وقال ما هذه الا اشباح فتيات نظيرك . فقلت بعدان تفرست فيهن ملياً حنيناً لهن ما اسعدهن انهن لا شك آية الظرف واللطف .

انهن ذاهبات لخدمة جراح افئدة المساكين . ذاهبات لاتمام ما تطلبه الانسانية منهن . فلنتبعهن لنرى ماسيكون من امرهن اني لا اشك انهن ذاهبات لعيادة ذلك المسكين الماثت فتقدم الملاك وتبعته على الاثر حتى وقف حيث وقفت اولئك الفتيات فاشار الي بيده لانظر فنظرتهن داخلات فاتحة فسيحة الاطراف تضم عدداً غفيراً من اوانس وسيدات وشبان وكهول . بها موائد عديدة والناس من حولها جلوس . فقال لي الملاك انظرت الى اين قدمت اولئك الفتيات الغنيات والسيدات المترفات ؟ انظرت انهن انما اتين لصرف

ما لهبهن من التقود على موائد القمار ؟ انظرت ما هي واجباتهن للانسانية ؟ انظرت كيف يضعن اوقات الحياة ويرمين الدرهم والدينار الى مهاوي الهلكات بالمئات ؟ انظرت لماذا لايعدون يداً لمساعدة ذلك المسكين المائت ؟ انظرت انهن لسن ملائكة بل بائسة ؟

فقلت اذ ذاك رفقاً ايها الملاك جبرائيل الكريم لم اتيت بي الى هذا الفضاء حيث اشاهد من شر الانسان اكثر مما كنت ارى . رحماك يا ابي اشفق على قلبي واحجب عن عينيّ ما يمثل صور شر الانسان . فقال لا بأس من ذلك اتبعني . فتبعته فتنابني التأملات في حالة اولئك الفتيات . الواتي نظرتهن على خلاف ما رجوت من زخرف تلك الهيآت وتوسمت من بهاء هاتيك الطلعات

وكان قد اثر بي هذا المشهد تأثيراً لم تخف معرفته على جبرائيل . فقال لي تناسى ما امكنك ما تنقبض له نفسك الطاهرة . كفاك حزناً يقودك الى الحقد على اختك الفتاة . تعالي لاريك ما يسر خاطرك و يشرح صدرك . عجلي فان الوقت قد فات واخذ بيدي وجعل يخبرني عن الانسان ومصيره وما يأول اليه حاله فاطرقت مرتاعة واذا بي ارى اثار المسكنة والذل تحتنا . رأيت بيتاً حقيراً تكاد جدرانه تقع الى الحضيض يخرج من نوافذه نور شمعة ضئيل وفيه امرأة فقيرة محتضنة ابنها المرتعش من قرص البرد . تدثره باثياب البالية قطعة فوق قطعة لتدفئه . ولما وجدت انها حاولت محالاً ضمته بكلتا يديها واخذت تقبل جبينه ووجنتيه حيناً وتضع يديه على خديها وفيها حيناً آخر وقلبها مشتعل بنار الانفعال والحنو الوالدي . وكم ودت لو تقدر ان توقد انفاسها لتخفف عنه شيئاً من الم البرد . آه ما امرك يا فقر . تحوّل عن مساكن البائسين

ولما وجدت ان لا فائدة من ذلك ركعت على ارض البيت العارية تبكي من هول ما سيكون لانها علمت ان ابنها هذا الوحيد مائت شهيد البرد والفقر . فاين انت ايتها المروءة واين انت ايتها العواطف الرقيقة ؟

ركعت وعيناها المغرورقتان بالدمع مرتفستان نحو العلا فعلمت انها تخاطب ربها وسمعتها تقول يا رب الناس الباصر بالجميع يا الرحمن ارحم ولدي هذا المائت . أيا ربي انت وحدك عالم بحالي وفقري المدقع . الهي لم خلقتني ؟ لم اعطيتني هذا الطفل ؟ اليموت من ألم البرد ؟ فاخذت اذ ذاك ابكي لبكاء تلك المسكينة وقلت يا ابى جبرائيل دعني انزل لاساعد هذه الارملة . فقال ففي قليلاً وانظري

ولم يمض الاّ القليل حتى رأيت امرأة داخلة على تلك الارملة تحمل بيد اثواباً صوفية

وباليد الثانية اناء ملآنا خمراً ووضعتها امامها وقالت لها البسي هذا الرداء والبسي ايتك الرداء الثاني . انهضي عجلي باضرام النار فقد اتيتك بفحم يكفيك مدة اسبوع وساعود اليك بغيره بعد ثلاثة ايام فلا تبأسي فان الله سمع تهدادك وارسلني لاغاثتك) فقال لي الملاك اما هذه ملاك من ملائكة الرحمة يا ادال ؟ قلت لا شك بذلك ايها الملاك الطاهر فلنحي هذه الملاك

تركنا موقفنا هذا قبالة البيت واستانفنا المسير وكان التعب قد اخذ مني كل مأخذ غير ان شدة رغبتي في مشاهدة احوال الانسان فوتني على القيام برحلتي . وقفنا هذه المرة وكانت الوقفة وقفة اعتبار . شاهدنا رجالاً يحفرون حفرة ليودعوها بقية انسان . شاهدنا نسوة يودعن جثة وبينهن تلك الحسناء التي شاهدتها في المنظر السابق

فسألت الملاك من هذه الثالثة ؟ قال ما هي الا امرأة فقيرة . قلت ومن هؤلاء النسوة؟ قال هن ربات الشفقة هن خادمات الانسانية . هن ملائكة الارض وملكاتها . قلت واي اسم يطلق عليهن قال نعما قليل ستعرفين ونزلنا من المستوى العالي الى ارضنا هذه وبي شوق لمشاهدة امر سار وعدت بمشاهدته فدخلنا باب قاعة بسيطة يضحك جمالها ويتألق جلالها . بها عدد من النساء سيماهن لطف ودعة وحديثهن انس ورقة بعضهن لاهيات بالخياطة والبعض يرزمن ثياباً خطنها والبعض يتحدثن عن كيفية صرف ما توفر لهن من المراهم وكانت علامات المحبة والرافة وحب المساعدة بادية على محيى كل منهن

فقال لي الملاك هؤلاء هن النسوة اللواتي تريدين معرفتهن . هؤلاء هن مسعفات الانسانية مخففات ويلات البشرية . هؤلاء هن العاملات بوصية ربهن هؤلاء هن اعضاء جمعية يد المساعدة . فصحت هنيئاً لمن وطد باعهن . وعند ذلك ودعني الملاك بعد ان اوصلني الى الارض ثانية وقال لي الحي اعضاء جمعية يد المساعدة سلامي وبشريهن بنجاح المسعى واحراز الفلاح والجزاء المجيد ان الله لا يضيع اجر المحسنين

ولي كلمة لك ايتها الجمعية في الختام . كلمة تحريض للتقدم الى الامام . لا تفشلن ايتها السيدات اعضاء هذه الجمعية ان وجدتن تاخراً بعض الاحيان . يجب ان تثابرن على التقدم وتدمن المساعي . لا تفشلن لا مقدرة لنا ان ندير هذه الجمعية بعد موت رئيستها . لم لا قدرة لكن ؟ ألانكن ضعيفات ؟ ألانكن سوريات ؟ ألانه لا يوجد فيكن الكفاءة ؟ ألانتن جاهلات ؟ لا والحمد لله انكن حكيمات عاقلات فثابرن اذن على التقدم ليجري فيكن الدم السوري الشريف ولتدب فيكن النخوة الشرقية . انتصرن مثالاً حسناً لباقي المشاريع الخيرية . فالى الامام ايتها الجمعية الشريفة المبدأ